سادساً: المضيف مسؤول عن حماية الضيف طوال اقامته.

سابعاً: عندما يشتري الضيف شيئاً من السوق في البلدة أو المدينة أو القرية فإن المضيفين يدفعون عنه المبلغ لاسيّما اذا كان الضيف قد حل ضيفاً عند شخصية رفيعة المستوى.

ثامناً: لاتجد عند الكُرد عادة التنويه والإعلان من انهم شعب كريم فهذا يخجلهم.

الزي الكُـردي

ان من مكونات هوية القوم زيهم القومي، زي الرجال وزي النساء، ولاشك ان الازياء تتأثر بالبيئة المحلية والمجتمع يكيف من زيه لما يجعله أكثر قدرة على التكييف مع المحيط.

لقد جذب الزي الكُردي انتباه المستشرقين والرحالة وبعضهم أطال في الوصف والتفصيل والبعض الآخر، عرض للأزياء ولكن بشكل سريع أو بإيجاز.

ونحن اذ نعرض في هذا الفصل موضوع الزي الكُردي للرجال والنساء فاننا نعرض الإنطباع عن هذه الازياء من وجهة نظر خارجة عن أبناء القوم أنفسهم، هذه الازياء التي مازالت قائمة ولم يتخل عنها الشعب الكُردي على الرغم من ان نسبة عالية من أبناء المدن غيروا من زيهم القومي الى الزي الأوروبي الحديث تمشياً مع متطلبات التمدن شأنهم في ذلك شأن سائر مجتمعات الشرق الأوسط لا بل معظم مجتمعات العالم.

الحقيقة نحن لانجد بوناً بين الزي الأوروبي الحديث والزي التقليدي الكُردي لاسيما اذا قارنّا بين الزي الكُردي والزي الأوروبي قديماً، فالزي الأوروبي لايخرج عن كونه سروال وقميص يدخل في السروال ومشد على السروال ثم سترة وهو بالكُردية تسمى (شَل أو شَلوال) أي السروال ثم القميص ويسمى (كراس) والمشد ويسمى (شيتك) ثم السترة فوق القميص وتسمى (شَبك) وهناك تسميات أخرى لهذه الاجزاء من الزي وهي مسالة لهجات مثلاً (رانك وجوغه)، اما القبعة الأوروبية فهي من وجهة نظرنا تحديث للعمامة الشائعة سواء في كُردستان ام سائر المجتمعات الهندوآرية وقد مرت القبعة الأوروبية بمراحل وصولاً الى وضعها الحالي فقد كانت أكثر سمكاً واكبر حجماً وبالتالي أكثر قرباً من العمامة التي يعتمدها أبناء تلكم المجتمعات جزءاً من زيهم التقليدي.

وهنا تجدر الإشارة الى ان الزي الكُردي مع اعتماده مواصفات عامة، فان اختلافات جزئية يمكن ان تتراءى في الازياء بين منطقة وأخرى وهكذا فان الازياء الكُردية المعروضة في هذا الفصل هي الازياء التي شوهدت ووصفت من قبل المستشرقين والرحالة انفسهم.

قبل عرض إنطباعات الرحالة والمستشرقين عن الازياء الكُردية وجدت لزاماً ان أبتديء بملاحظة كل من سون وهاملتون اذ يذكر سون قائلاً، على الرغم من خشونة حياتهم وانهم على سروج الخيل دوماً -يقصد الهماوند- فلم يكن على قميص أحدهم قذارة ما يؤكد ان الكُردي كلما اصبح أكثر غنى أصر ان يكون انظف ثياباً وهي ظاهرة خاصة بالكُرد ويخيل له ان أكراد هذه الأرجاء لايمكن ان يوصموا بالقذارة (٢٢٢).

اما هاملتون فيذكر حول ازياء الفقراء الكُرد ممن عملوا في الطريق الذي شقه هاملتون في كُردستان في نهاية العشرينيات من القرن العشرين فملابسهم وان بدت قديمة مرتقة فهي نظيفة رغم جهد العمل فهم كما يؤكد هاملتون لاينفكون عن غسلها فتظل نظيفة (١١٣).

لقد ذكر فريزر ان الدكتور روس طبيب المقيمة البريطانية الذي سافر عام ١٨٣٨ الى راوندوز لمعالجة والد أمير راوندوز محمد كور باشا بعد ان اقنع الأمير المقيم البريطاني لإيفاد طبيب علّه يعيد البصر الى والده فقد أبدى إعجابه بجمال الزي الكُردي في السهول الممتدة بين التون كوبري* وأربيل أي (دَشتى هَوليـر: سهل أربيل) وهو في طريقه نحو راوندوز (١٦).

لقد جاءت إشارات هؤلاء الرحالة الى اختلاف الازياء بين منطقة وأخرى واحياناً بين قبيلة وأخرى وعلى الرغم من ان هذه الاختلافات طفيفة لاتمس جوهر الزي الا انها تنبيء عن العشيرة أو المنطقة واحياناً يمكن التعرف على عشيرة الشخص من طريقة لف عمامة الرأس.

الزي الرجالي

في ضوء المصادر المتاحة لنا فان اقدم من كتب عن الزي الكُردي الرجالي والنسائي هو ريج وذلك بحكم السبق الزمني فان رحلة ريج من الرحلات المبكرة (١٨٢٨) والتي عنت بالتفصيل الى حد ما وتركزت في مدينة السليمانية بحكم قضاء ريج معظم وقته هناك، لذا فان التفاصيل التي يعطيها عن الزي لاتمثل الزي أو الازياء الكُردية كلها بل هي زي لمدينة السليمانية لتلك الحقبة لان الازياء بدورها تغيرت وبخاصة الزي الكُردي السليماني فهو اليوم لايبدو مثلما كان عليه في السابق أو مثلما يصفه ريج.

يتحدث ريج عن زي الرجال في السليمانية وعن إنطباعاته ويحاول تقريب الصورة قدر الامكان الى القاريء وهو يرى ان لباس الرجال يشبه اللباس التركي في الشكل والقماش شبهاً كبيراً ونرى من المناسب ان نذكر وصف ريج للزي الذي شاهده في السليمانية آنذاك اذ يذكر ان اللباس الاعتيادي الخارجي يخاط كالعنتري والكلمة مشتقة من الانتاري التركية ويقابلها في العراق الدشداشة.

أو كالرداء التحتاني وهو يزرر عند العنق ويبقى مدلى مفتوحاً ويصنع من الأقمشة الحريرية المطبوع عليها الورود أو الخطوط ويستعاض عنه في الشتاء "باللبادة" ويتمنطق الرجل من الوسط بنطاق ذي ابزمة (ماسكات) ذهبية أو فضية أو مرصعة بأحجار لازوردية

* آلتون كوبري: بلدة صغيرة تقع بين مدينتي كركوك وأربيل.

وفوق كل هذا يلبسون العباءة بشكلها المعروف، والذي يميز الكُردي بوجه خاص في ملبسه هو عمامته وهي تتألف من (غترة) من القماش الحريري المحقق بالألوان الحمراء والصفراء والزرقاء تتخلله خيوط من الذهب والفضة وتلف حول الرؤوس على ان تبقى النواصي مكشوفة تماماً وللأكراد نواص بديعة تنم عن الرجولة ويتدلى على الاكتاف والظهر الكثير من الأهداب الملونة المخاطة بحواشي هذه الغترة وذلك مما يخلع على الرجال منظراً غير مألوف لايمكن وصفه وعلى الأخص عندما يخبون جيادهم وعندما يلبسون الشال الكشميري أحيانا والقليل من يلبسه، منهم يضعونه فوق أكتافهم بطريقة تترك أطرافه مدلاة على ظهورهم أو جوانبهم.

ويلبس عامة الناس الأحذية ذات الرباط كالأوروبيين تماماً وهي سوداء أو صفراء مزينة بشلة. وقليل منهم من يستعمل الأحذية الصوفية (كلاش) وقد شاهدها ريج في إيران ويعتقد انهم يجلبونها من تلك البلاد.

اما القرويون والفقراء من رجال العشائر فيلبسون الجلباب (الانتاري) ومن فوقه لباس مصنوع من الشال(شالوون) الخشن مفتوح الزيق، ويحزمونه من الوسط بحزام جلد وبزيم نحاسي، وهم لايخيطون هذا اللباس الى بعضه البعض من المحزم فما تحت فتبقى أذياله الأربعة مدلاة كأذيال المعاطف، ذيلان من الأمام وذيلان من الخلف ويكون هذا الرداء عادة اسمر وابيض اما أطراف الأكمام فتزين بخيوط مختلفة الألوان وعمائمهم من قماش قطني خشن بلون احمر غامق مخطط الحواشي بالأزرق وهم يلبسون العباءة عادة ومن لايستطيع شراء العباءة أو لايجد فيها التدفئة الكافية يستعيض عنها بفروة من جزة ماعز بكامل شعرها أو بعباءة من الصوف الخشن الداكن اللون. اما الدراعات فتصنع من اللباد الاعتيادي الأبيض وهو لباس لا مهارة في صنعه وأنها فروات قصيرة من جزات الماعز وهي من الأردية الفوقانية. (٢٠٦ - ٢٠٧).

يصف لايارد في زيارته لـ(مير فيض الله) زعيم منطقة برادوست في اربعينيات القرن التاسع عشر زي هذا الشخص، اذ كان يعتمر عمامة من الشال الكشميري مقلمة بالاحمر والابيض وهي اضخم من أي عمامة رآها في كُردستان حسب رأيه. اما ثيابه فكانت من الحرير الزاخر بالتطريز (٣٧٣ - ٤) هذا ما جاء في كتابه الموسوم كشوفات بين خرائب نينوى وبابل Discoveries Among the Ruins of Nineveh and Babylon ولكن لايارد يصف في مناسبة أخرى، وهنا زاره الكُرد في موقع عمله، ازياء المجموعة الكُردية التي زارته اذ يذكر انه التقى رئيساً كردياً مع بطانته وكانوا فرحين بلقائي في موقعي. كانوا يرتدون زيهم كاملاً، وكل الالوان تجدها ماثلة في زيهم وكانت عمائمهم طويلة بما فيه الكفاية وواسعة (١٠٣). هذا ما ورد في كتاب آخر لـ لايارد وهو Nineveh and Its Remains ان هذا اللقاء جرى ايضاً في

اربعينيات القرن التاسع عشر.

الحقيقة ان هذا النوع من الزي بات منقرضاً أمام الزي الكُردي الواضح والمسمى (رانك وجوغه) في مناطق السوران والسليمانية وهو ما يقابل (الشل وشَبك) في بادينان وكُردستان تركيا وقسماً من كُردستان إيران فالزي الكُردي عبارة عن قميص أو سترة غير مزررة ويلتف حول الخصر حزام وهو عبارة عن قطعة قماش طويلة وسروال وتختلف العمائم باختلاف العشائر والمناطق وتحت هذه السترة الخفيفة نجد قميصاً بسيط الصنع ابيض اللون تتدلى منه أكمام طويلة تخرج من تحت كم السترة وتلف حول الرسغ وان كانت قد انقرضت هذه الاكمام في بعض المناطق لاسيما عن الشباب واستعيض عن القميص الكُردي بالقميص الأوروبي الاعتيادي. والحقيقة فان الرانك وجوغر أو الشل و شَبك هو الزي الأكثر والأعمق كردية ونعتقد ان الزي الذي وصفه ريج وشبهه بالزي التركي يعد من الازياء الدخيلة على المنطقة لاسباب قد تكون سياسية أو إجتماعية أو كلاهما معاً.

اما سون الذي زار في بدايات هذا القرن السليمانية وحلبجة فهو يجزم بأنه لايمكن ان تسمى ملابس السليمانية بملابس كردية وان أطلق لابسوها على انفسهم اسم أكراد. وطبيعي لايقصد سون الملابس الكُردية التي يتزيى بها كرد السليمانية اليوم انما الملابس التي وجدهم آنذاك يرتدونها وهي كما يصف مصنوعة من القماش الحلبي المخطط المسمى (شيطان بيزي) (١٣٠) وبدلة السليمانية كما يضيف سون، سراويل قطن ابيض فضفاضة عند الرجلين جداً ثم تبدأ بالضيق حتى تصل الكاحلين فتشد عليهما، ولايرتدي القوم جوارب وانما يحتذون احذية من جلد احمر وطرف الحذاء بارز من الامام ومدبب ويرتفع مؤخر الحذاء الى حاشية مستدقة طولها عدة انجات والقميص التحتاني من القطن الابيض أيضا ويصل حتى الوركين ويشد عند العنق باكرة من قطن تجعل في زر. اما الارادن ففضفاضة تصل الى الأرض وتستخدم لطي الأوراق والنقود وتنشيف الوجه من الماء والعرق وفوق هذه الملابس يرتدي القوم زناراً طويلاً من قطن ينفتح من قدام ويصل الى أخمص الأقدام ويشد بمشد صدر أو بحزام وأكمام هذا تنفتح من الرسغين الى قرب المرفقين وبذلك تترك الحرية لهما لتلف الى الوراء وتطوى عالياً وذلك عندما يلف القميص الخارجي ويربط حول الذراع.

ولو جاء البرد ارتديت صدرية من دون اكمام مصنوعة من اللباد الثخين وعباءة من صوف الجمل وهي شيء يملكه كل شخص مهما بلغ حظه. ان عباءة الطبقات الواطئة من قماش خفيف لونه رمادي أو اصفر اما غطاء الرأس فيتألف من عديد من المناديل الزرق والبيض ملفوفة حول (عرقجين: طاقية) من قماش قطني اسود مزين بازاهير من حرير (١٣٠-١٣١).

بعد هذا الوصف للزي الذي كان شائعاً في السليمانية يتطرق سون الى نفس الملاحظة التي

سجلها معظم الرحالة ممن عالجوا موضوع الزي الكُردي في مذكراتهم اذ يذكر ان نمط غطاء الرأس يبين الى حد بعيد القبائل الكُردية عبر اختلافها ولاينسى ايضاً ان يشير الى الخنجر الكبير المثبت في الحزام. ثم يخلص سون الى ان هذا لباس أهل السليمانية والهماوند والجاف والقبائل القاطنة في أقاصي الجنوب وهم قد نبذوا اللباس القديم الغريب ويقول ان اللباس الكُردي الحق هو ما سنصفه بعد هذا شيء مختلف عن ذلك جداً (١٣٠-١٣١) وعلى ما يبدو فان سون يقصد بعبارة (قد نبذوا اللباس القديم الغريب) الزي الذي ذكره ريج وهو بدوره لم يكن زياً كردياً بل عربياً كما يذكر سون (٨٥).

ويرى ادموندز وهو يصف الأزياء الكُردية انه في الجنوب تظهر المؤثرات العربية بشيوع ارتداء (الكوا) أو الزبون بينما ذكر قبله الدكتور روس الذي زار رواندوز كما اسلفنا عام ١٨٣٨. ان لباس الموسورين من أهل رواندوز هو لباس البغداديين ويقصد الزبون وما فوقه. اما الفقراء على ما يذكر يرتدون الزي الكُردي المعروف الشل وشَبك أو الرانك وجوغه اذ يذكر ان الفقراء كانوا يرتدون سترة قصيرة وسراويل صوفية فضفاضة وصديرياً من اللباد لا أردان له مع احذية قطنية وجواريب صوفية كما كانوا يضعون على رؤوسهم العمامة الكُردية الخاصة (انظر فريزر ١٧).

وفي مدينة اورفة الكُردية يصف سون أحد الأزياء الرجالية اذ يذكر، كان لباس الرأس ذا طراز كردي ايضاً وهو متأثر بالشعوب الشمالية ويعلو الرأس شيء يشبه الـ(طست) من لباد لف حوله قماش ازرق وهو لباس الرأس عند هؤلاء القوم.

وبدلاً من ان يلف العمامة المعتادة يلف القماش حتى تستحيل حبلاً غليظاً ثم يدار حول هذا الذي يعلو الرأس ثلاث مرات أو أربعا ويرتدون السترة الكُردية ذات الشعر وسروالاً فضفاضاً (٧١)، اما في مدينة دياربكر الكُردية فيصف سون زي الرجال انهم يرتدون لباساً من لباد على غرار الفرس القدامى الذين يشاهدون في المنحوتات الساسانية. اما ستراتهم المصنوعة من جلد الضأن، والشعر خارجاً والأحذية الحمر فإنها تؤلف أجزاء ملابس متميزة (٨٣).

ان الميجر سون يعطينا وصفاً للزي الكُردي كما وصفه الرحالة قبل سون بمائة وسبعين سنة وهو يعتمد في ذلك على ما جاء في دراسة لايارد عن منطقة حكاري التي جاءت فيها إنطباعات الرحالة عن المنطقة، فالكُردي في وصفهم كان يرتدي جميع الملابس المزخرفة التي يقرها الذوق الكُردي، فالعمامة الواسعة يرتفع عنها غطاء الرأس (كاب) مخروطي الشكل من لباد ابيض والسروال الواسع جداً ويرتدي سترة وعباءة وفي حزامه أسلحة من حجم كبير ثم يعطينا وصفاً عن الرحالة الذين سبقوه عن زي الكُردي منطقة (مكري) الساكنين جنوبي

اورميه فهم يطرحون على رؤوسهم شالاً كبيراً من حرير مخطط ألوانه الأحمر والأبيض والأزرق وله نهايات ذوات حواف وهو يلف على شكل جميل حول غطاء الرأس (كاب) (١٩٢).

ان شميدت الذي زار كُردستان عبر زاخو ينظر بإعجاب كبير الى الازياء الكُردية الرجالية ويجد علاقة بينها وبين الطبيعة الكُردية إذ يصف الرجال الذين التقاهم، كل منهم يرتدي السراويل الكُردية الفضفاضة على انها مختلفة الألوان البنية، الرمادية، البرتقالية، بعضها بلون واحد وبعضها يتخللها خطوط عريضة عمودية ذات ألوان فاتحة. ان ثيابهم هذه وعمائمهم المنقطة بالأسود والأبيض أو الأحمر والأبيض أو الزرقاء الغامقة أحيانا تقوم بمثابة وسيلة تعمية طبيعية (٥٢).

اما هاملتون، فيعود ليصف لنا الزي الرجالي الكُردي وهو قد عاش سنين في مناطق أربيل وراوندوز اذ يذكر ان الكُرد الذين رآهم في ديارهم وأوطانهم يختلف زيهم تمام الاختلاف عن جلابيب العرب الفضفاضة الذين عاش معهم طوال الأشهر الأربعة الأخيرة، فالكُردي يرتدي سروالاً واسعاً وصداراً متهدلاً منسوجاً من شعر الماعز وهو قماش خشن الملمس، رمادي اللون قد يصبغ ويكون مخططاً بالأزرق الغامق أو الأحمر ويطرز بخيوط ذات ألوان فاتحة كالأخضر والأبيض ويلف حول خصره قطعة قماش قطني طويلة مبرومة تبين فيما بعد انها قد تبلغ ستاً أو سبع ياردات بعرض كامل ويحزق حول الخصر حزقاً شديداً كالحبل المفتول حتى ليمكن ان يحفظ بين طياته الأشياء الثمينة، وهم ينتعلون احذية من الجلد القوي تشبه القارب جؤجؤها مقوس ورأسه متجه الى الأعلى وهم يغطون رؤوسهم بقبعات ذات حافات وقد اعلمه مرافقه – حسن– انهم لايضعونها في غير أيام الحصاد، بدلاً من العمائم الحريرية الرمادية المعتادة (٥٠).

ونعود الى شميدت ثانية، فيقول تكلم الكُرد كثيراً عن الازياء التي يرتدونها وكانوا فخورين بزيهم الوطني ثم يقول تختلف الازياء والأشكال بين قبيلة وقبيلة بطريقة لف العمامة وباختيار شكل القماش وأنماط الحزام وشده حول الخصر وطريقة ربطه ولكنه يذكر ان السمات الرئيسية لهذه الازياء انها تتألف من شدة الرأس وهي قطعة أو قطعتين من القماش وتطوي القبائل التي تعيش في الجزء الغربي من كُردستان العراق واحدة من مناديل بشكل مثلث ثم تلفها لفاً قوياً الى آخر طولها ثم تلفها حول الرأس فوق طاقية. وبعضهم يفضل منديلاً واحداً في حين لايقنع البعض بغير اثنين والى الشرق قريباً من الحدود الإيرانية جرت العادة ان يلف المنديل لفاً رخواً حتى يتدلى من الحافات بأهداب لتصل الى فوق العيون والأذان (٥٧).

ويذكر شميدت ألوان المناديل التي يلف بها الرأس وهي بين الأحمر والأبيض والأسود والأبيض والأزرق والأبيض أو الرمادي والأسود المرزز. وعلى ما يبدو فان شميدت قد اعجب

كثيراً بالزي الكُردي اذ يذكر ان إعجابه كان شديداً بهذا التأليف المنسجم في الزي بحيث انه لم يسر كثيراً عندما لم يجدوا ما يناسب قامته منها. ولكنه يعلق متعجباً كيف يتحمل الكُرد بعض ثيابهم التي يرتدونها حتى في اشد اشهر السنة حرارة بتلك اليباردات العديدة من القماش مشدودة حول بطونهم وصدورهم المصنوعة من اثقل الصوف، وان بعضهم يرتدي سترات من الصوف المضغوط السميك تحت أجناد الرصاص. أضف الى هذا كله الطاقية الصوفية بديلاً عن العمامة الاعتيادية (٥٩).

وهنا نود ان نجيب على تساؤلات شميدت وهو محق في تعليقه أو تساؤله وربما هذا تساؤل أي أوروبي يزور كُردستان صيفاً. بدءاً لابد من الإشارة الى ان المنطقة الأولى التي زارها شميدت التي أثارت فيه هذا الإنطباع لاتمثل من حيث المناخ، معدل المناخ الكُردستاني الذي تليه جنوباً المناطق العربية المتمثلة بالسهول، أي على الطرف الثاني من دجلة، والأزياء لدى الأقوام تتأثر بالمناخ وبطبيعة الأرض، لذا نحن نعتقد ان الزي الكُردي الذي وصفه شميدت هو زي يخدم كلاً من المعدل للمناخ الكُردستاني وطبيعة التضاريس الكُردستانية فلو توغلنا في شمال المنطقة التي دون فيها شميدت ملاحظته مسافة ساعتين أو ثلاث سيراً لألفيناها منطقة باردة تستوجب تلك الملابس كلها. فضلاً عن فارق الاعتياد الذي لم يألفه الزائر الأوروبي.

وإذا علمنا ان سايكولوجية الحياة القبلية بطيئة التغير استطعنا ان نعلم لماذا لايغير الكُردي زيه بتغير المناخ بين حواف المنطقة الكُردستانية وعمقها، هذا من جهة ومن جهة أخرى، فان الزي الذي وصفه تواً هو زي قبلي في الأساس التاريخي وعلينا ان نتذكر ان القبيلة الكُردية لم تعان عبر التاريخ الكُردي من شدة حر، لأنها تهرع الى الجبال الباردة في آخر اشهر الربيع حتى اذا ما اقبل الخريف عادت الى السهول والوهاد لتهنأ بالبرودة المعتدلة لذا فان هذه الملابس تصلح للبيئة الكُردية حسب مقتضيات ظروفها الحياتية القادمة من عمق التاريخ. ومع هذا نجد بعض التكيف (المدني) قد طرأ على الزي الكُردي الرجالي لاسيما في المدن. فنجد عدداً من الشباب لايعتمرون عمائماً بل يرتدون الزي الكُردي ورؤوسهم حاسرة كما ان القميص الكُردي بأكمامه الطويلة الملتفة على الرسغ حل محله القميص الحديث، بيد ان هذا لايعني حالة عامة فالزي الكُردي باق بكامل مكوناته.

لقد دوّن ويگرام ملاحظاته عن الزي الكُردي اذ يقول ان الزي الجبلي المعتاد هو سترة كالصدار تلبس فوق قميص واسع وسروال عريض جداً يخرط بقوة حتى يزم فوق الخصر النحيف وعند نقطة التقاء السروال بالصدار يشد حزام عريض جداً والقماش عادة هو نسيج صوفي خشن شبيه بقماش (ايزابيلا الملون) وهو مخطط بخطوط متباعدة حمراء أو زرقاء

رفيعة اما الأخضر فاقل الألوان استعمالاً وعندما يكون اللون العام هو الأحمر فانه يخطط بالأخضر وهي خطوط عمودية في كل من السترة والسروال وأفقية في الاكمام فقط (١٠٨).

لقد حظي الزي الكُردي بإعجاب معظم الرحالة الأوروبيين الذين زاروا كُردستان فهذا ماليبارد يصف عدداً من الرجال الكُرد وهو يراهم لاول مرة وقد تزينوا بألبسة فيها الفن والإبداع (٢٣).

ولابد من العودة الى شميدت ذلك انه تحدث عن الزي من حيث اختلاف المناطق ومن حيث حياكة النسيج وخياطته فيذكر تفاصيل الزي الكُردي في المناطق التي جابها ويشير الى ان السراويل والصدار تنسج من غزل صوفي خشن جداً وهو في بعض الأحيان خليط من صوف الغنم والماعز تحيكه النساء في القرى (٥٨). والحقيقة فان شميدت ربما لم تسنح له الفرصة لكي يعرف ان نسيج الزي الكُردي تغزله النسوة ولكن الحياكة تكون من اختصاص الرجال، وهناك من ذهب صيتهم في حياكة هذا النوع من النسيج أي قماش "الشل والشبك" وكثير من هؤلاء المشهورين في فن الحياكة هم من الأرمن أو الآثوريين أو اليهود ولقد أشار الى هذه الناحية ادموندز (٨٦). ويذكر شميدت ايضاً في معرض وصفه لهذا القماش الكُردي ان البعض لايستخدمون صبغة له بل يكتفون بلون الصوف الطبيعي.

وقد شاهد شميدت النموذجات من هذه الأقمشة منها المخطط عمودياً بشريط بني وابيض أو بشريط رمادي وابيض أو رمادي دون شريط أو بني... الخ.

ثم يذكر تفاصيل أو تصميم الزي الكُردي مبيناً ان عرض السراويل الشل حوالي ثمانية عشر انجاً ويمكن ان تبقى نهاياته منسدلة على الكاحلين أو ان تدس في الجوربين عند الكاحلين أو ان تدس في الجوربين تحت الركبتين مباشرة مثل سراويل الكولف القديم (٥٨).

وهنا فات شميدت ان يذكر ان الجورب الكُردي جورب محاك من غزل الصوف وهو سميك ويصل الى الركبتين واحياناً تكون فيه نقوش ملونة أو تكون النقوش من ذات اللون وعموماً فان الجوارب تكون اما بلون الصوف الطبيعي أو أسود وعند عنق الجورب نجد على الأغلب قطعتين من غزل سميك مبروم يستخدم لشد الجورب على الساق لكي لاينسحب الى الأسفل. ويكاد ان يكون هذا نوعاً من الجوارب قد انقرض.

ويصف شميدت السترة الكُردية (الشبك) فيصفها بالسترة دون أزرار وهي فعلاً كذلك وتدس نهايتها في السروال تحت الخصر ويشد القطعتان معاً وشاح مورد عادة يتراوح طوله ما بين خمسة عشر قدماً أو عشرين اذ يلف حول الخصر ويرتدي الكُردي تحت هذه السترة قميصاً طويلاً ذا اكمام خاصة فيها طول يخرج من الردن ويلف لفاً فوق الساعد ويشبه شميدت هذه

الأكمام بالأعلام المثلثة الرفيعة المستعملة في الكليات ويشير الى إمكان استخدامها لتجفيف اليدين ومسح العرق من الوجه أو القيام بأي خدمة يستعمل لها الآخرون المناديل أو المناشف (٥٨).

وهنا نود ان نشير فضلاً عما ذكره شميدت الى إحتمال الاستفادة من هذه الاردان الطويلة ذات النهايات المثلثة كمناديل أو مناشف نعتقد كان لهذه الاردان في غابر الزمان وظائف أهم مما ذكرها شميدت فلو كانت ستقوم بمهمة المناديل فقط لأكتفي بواحدة مثلاً أو ربما كان طولها اقصر فيكتفي بلفة واحدة على الرسغ فوق ردن الشبك. اننا نرى قبل كل شيء ان الزي الكُردي هو زي محارب، محارب بالمعنى الحربي المتداول ضد العدو سواء كان مهاجِماً أو مهاجَماً فضلاً عن ان البيئة الكُردية تجعله في حرب دائمة مع ظروف الحياة الطبيعية فهو يعيش في الغالب بين صخور ضخمة ومنحدرات مروعة وأحراش مكتظة وضباع ونمور وذئاب ولأشهر عدة تكون ارض كُردستان مغطاة بالثلج في كثير من اصقاعها. والكُردي عبر تاريخه الطويل تعايش مع الطبيعة المعطاءة بالرغم من صعوبة التكيف معها. فالصيد بأنواعه وجمع الثمار والنباتات الطبيعية يمثلان جزءاً واسعاً من حياته الإقتصادية الى جانب رعي الحيوانات والزراعة.

مما تقدم نعتقد ان ألبسة الرجل الكُردي كانت ألبسة طواريء دوماً، ولو حللنا تصميم (الكراس) أي القميص ما تحت (الشبك) في الكرمانجية الشمالية أو الجوغه في الكرمانجية الجنوبية لوجدنا ان هذا القميص بالأكمام الطويلة المغالى بها التي تلتف على ساعدي الكُردي يمكن عند الضرورة ان يكون كيساً جيداً يمكن عقده أو ربطه بواسطة هاتين المشدتين مثلما يمكن حمله على الظهر بعد تعليقه بواسطة المشدتين ويمكن ان يضع فيه الثمار أو الفريسة من الطيور أو أي شيء اخر، هذا احتمال سنجد ما يبرره ونحن لانتكلم عن عصرنا هذا بل عن عصور مضت لكن الاكمام الطويلة بقيت تمثل جزءاً من الزي الكُردي.

والاحتمال الثاني فان هذه الاكمام الطويلة ربما ترمز الى حبل كان يحتاجه في الصيد أو في الاحتطاب فقد يضعه على كتفيه ويلف طرفيه على الرسغين عندما لاتكون له حاجة به.

اما الاحتمال الثالث فقد يكون احتمالاً قتالياً فربما اعتقد المقاتل الكُردي ان شد الرسغين يمنح اليدين أو الذراعين قوة مضافة تساعده أكثر في استخدام أسلحته الحجرية ومن ثم الحديدية كالخنجر أو السيف أو أية أداة قتالية ربما هذا جعل الرجال يلفون هذه الاكمام على الرسغين بينما تكتفي النسوة بعقد الكمين الطويلين بعقدة تلقى وراء الظهر ان هذه الاكمام تمثل اليوم قيمة جمالية اقامية للزي الكُردي الرجالي والنسائي لكننا نعتقد ان وظيفة ما كانت تكمن في هذه الاكمام، وهي ليست من باب الاعتباط فالعباءة العربية التي يستخدمها

العربي كجزء من زيه العربي والتي تكتسب لدى العرب قيمة جمالية واعتبارية هي في الأساس أداة لتقديم خدمة كبيرة وعملية للإنسان البدوي في الصحراء فهي مظلة شمسية أولا وواقية من الغبار اذا اشتدت العاصفة في الصحراء، ومن هنا جاء اجتهادنا حول هذه الاكمام الكُردية ولاندعي ان يكون هذا الاجتهاد هو الصحيح الكامل لكننا على يقين ان وظيفة ما تكمن فيها ربما كان الذي ذهبنا اليه صحيحاً أو اي اجتهاد كامن في رحم المستقبل.

بعد ذلك ينتقل شميدت الى وصف الحذاء الكُردي المنسوج من الحبال على حد تعبيره وقليل منهم كما يقول ينتعل احذية (تنس) أو حذاءً مطاطياً والأحذية الجلدية الطويلة العنق نادرة والنعل القماشية المنسوجة اصلح للتسلق فهي خفيفة مطاوعة وهي في الوقت نفسه قوية لحماية القدم من الصخور المسننة الحواف والكُرد يضعون نعلاً خاصاً للتسلق الجبلي بعقب لايستقيم مع شكل القدم والمفروض ان يمنع الانزلاق ويحمل الكُردي فردة ثالثة معه عندما يقوم بالتسلق احتياطاً من تمزق إحدى الفردتين (٥٩).

هنا لابد من الإشارة الى ان الأحذية المصنوعة من الحبال تسمى (كالك) وهي احذية خفيفة تحيط بحواف القدم وتربط من جزئها الخلفي بحبلين صغيرين صوفيين للفهما عبر الساق اما الجزء الأمامي فنجد شريطاً صوفياً يمر من فوق منطقة مشط الأصابع واسفل الحذاء كان يصنع من جلد سميك ولفترة طويلة استعيض عنه بالمطاط. هذا نجده في الاجزاء الشمالية والغربية من كُردستان، اما في الاجزاء الشرقية والجنوبية فنجد أنماطا أخرى من الاحذية المصنوعة محلياً كتلك المصنوعة من ضغط وكبس قطع قماشية.

ان ما يسميه شميدت بحذاء التنس هو في الحقيقة حذاء منسوج من خيوط قطنية أو صوفية أدق ويبدو قماشاً كتانياً واسفل الحذاء مصنوع من الجلد وهو عموماً خفيف الوزن يساعد على المشي السريع وسرعة التنقل ولكن لابد من الإشارة الى ان الحذاء الجلدي الحديث والجوارب الاعتيادية اصبحا متلازمين مع الزي الكُردي لاسيّما في المدن الكُردية اما في الريف والمرتفعات فتبقى الاحذية الكُردية المحلية هي الأجدر في السير والتسلق والحط والترحال في بيئة صعبة التضاريس ولابد من الإشارة الى ان سون قد لاحظ ثلاثة أنواع من الاحذية في سوق السليمانية لصناعة الاحذية ويصفه بالشارع الطويل ذو سقائف عميقة وسيعة تقوم على جانبية، وهي مشغولة من قبل صانعي الاحذية كلياً. والأحذية التي شاهدها على ثلاثة أنواع، حذاء من الجلد الاحمر معقوف من الناحية المدببة وحذاء اسود من النوع نفسه وحذاء نسائي، هو في الحقيقة نعل ليس فيه إلا غطاء الأصابع زين بخرزات من فولاذ عالي الكعب، وتضاف هذه الزخرفة بعد ان يتم شراؤه (١٧).

وتعلق هانسن على موضوع الاحذية عند الأكراد فقد وجدتهم لايعدون الاحذية جزءاً من

الأردية وتقول نجد الناس ينزعون أحذيتهم عند الجلوس (٥٨)، والحقيقة نعتقد ان هانسن غير دقيقة في ملاحظتها هذه فان نزع الاحذية عند الجلوس لايعني عدم اعتبار الحذاء من الزي أو المرتديات بل نزع الحذاء قبل الجلوس يكون لسببين، أولهما النظافة، فالكُردي يحاول دوماً ان لايطأ المفروشات بحذائه وهذه العادة مازالت موجودة حتى عند المتحضرين الكُرد اليوم. وثانيهما ان نزع الحذاء يعني الإحترام للجالس أو الجالسين لاسيما اذا كان المكان مفروشاً وهنا لابد ايضاً من الاشارة الى ان طريقة الجلسة للأكراد في المضيف أو حتى في البيت عبر التاريخ كانت على الفرش وليس على الكراسي وعندما تكون الجلسة على الفرش يصبح الحذاء عائقاً حقيقياً للجلوس.

ان باسيل نيكتين يؤكد ما ذهبنا إليه تواً من ان الزي الكُردي بقدر ما هو مرتبط في خطوطه الكبرى بمتطلبات حياتهم فانه ينم عن ذوق غزير التعابير (٨٥).

واما هَيْ فيصف الحذاء الكُردي كما يسميه الكُرد (كالك) وهو مصنوع من قطعة واحدة غير مخاطة من جلد الجاموس (نعتقد انه جلد البقر الا اذا كان مستورداً اذ يندر تربية الجاموس في كُردستان) ويضيف هَيْ ان الحذاء موائم للقدم ومزين في الاعلى بصوف أو حرير وملون وعلى جانبي الكعب ثقوب ويمكن شد النعل بالقدم بواسطة هذه الثقوب التي سيمر منها حبل من صوف سميك وان هذا (الكالك) يحتذى به في أصقاع التلال، ويقول هَيْ ان اهل رانية يرتدون جوارب حسنة الصنع منسوجة من صوف ابيض اللون وهذه تصل حتى الركبة (٦١).

لقد بدا ادموندز أكثر تفصيلاً في وصف الزي الكُردي بكل مكوناته حتى انه استخدم المصطلحات الكُردية نفسها لمسميات الزي، وهنا سنقوم بتلخيص هذا الوصف مع إعطاء ما يقابل هذه المصطلحات من مفردات في أجزاء أخرى من كُردستان فضلاً لما يستوجب من ملاحظات نجد من الضروري ذكرها.

يبدأ ادموندز بـ(البيلاو) الحذاء وهو اما ان يكون (كَوش) وهو حذاء جلدي دون كعب ومقدمته مرتفعة ويسمى في بعض المناطق (رَشك) ويصلح للرجال والنساء أو ان يكون (كلاش) ويسمى ايضاً (تراك) في المناطق الشمالية والغربية وهو مصنوع من خرق مضغوطة أو من الجلد ولكن وجهه مصنوع من قماش قطني منسوج.

بعد هذا يذكر ادموندز الجوارب (كورَوي) وتلفظ ايضاً (كوره) ولايوضح ادموندز صناعة الجورب الكُردي وهو كما ذكرنا في مواضع أخرى يحاك من غزل الصوف ثم يذكر اللباس الداخلي (دَربي) وهو سروال من القطن الابيض ويشد (الدربي) أو اللباس من منطقة الخصر بواسطة مشد صوفي يسمى (دوخين) أو (بندخوين) بعد ذلك يرتدى الرانك وهو سروال عريض

ويسمى في كثير من المناطق (شَل) اما في القسم الاعلى فهناك (الكراس) و(بن كراس) والاول يعني القميص والثاني يعني تحت القميص وتكون اكمام الأول طويلة أي انها اردان طويلة سبق ان تحدثنا عنها وتسمى في بعض المناطق (فَقيانه) ولكن اسمها الأكثر شيوعاً في كُردستان (لَوَندي) وهي تبقى محلوله أو ملفوفة حول المعصمين فوق اكمام السترة ومعقودة النهايتين خلف الظهر ثم السُخمة وهي سترة كما يسميها ادموندز تلبس تحت الجوغه والسُخمة تسمى في مناطق اخرى بـ(ئتلَك) وفوقها يلبس (الجوغه) أو (الشبك) كما يسمى في اماكن واسعة من كُردستان وهذه السترة تحشر نهايتها في السروال(٨٤).

لابد من ان نذكر ان الرانك وجوغه أو الشَل وشَبك في الاساس من الغزول الصوفية ولكن منذ سنوات عديدة ترك البعض النسيج الصوفي للرانك وجوغه واستعملوا أقمشة قطنية أو كتانية* أو حتى صوفية ولكنها محاكه في المصانع وليس يدوية ولكن الشَل وشَبك بقي يخاط من النسيج الصوفي المحلي.

بعد ذلك يذكر ادموندز الـ(بشتين) ويقصد به حزام الخصر ويكون عادة من القماش القطني الملون يبلغ طوله عدة ياردات ويبرم برماً كالحبل ثم يشد حول الخصر. وهنا لابدّ من ان نوضح بأن البشتين أو حزام الظهر القماشي له تسميتان أخريان في كثير من مناطق كُردستان فيسمى (شيتك) والشيتك هو الحزام العريض عندما يكون من قماش عادي وغالباً ما يكون هذا القماش ملوناً أو مورداً ويلف بشكل اعتيادي في مناطق السوران اما في المناطق الأخرى فيلف بطريقة تكوين مجموعة عقد متعامدة في المقدمة تكسب هذا الحزام جمالية وخصوصية، اما التسمية الثانية فهي (الشال) وهو بالطبع ليس (الشَل) الذي جاء ذكره انما يقصد بالشال الحزام عندما يكون محاكاً من غزول الصوف الملون وقد حيك خصيصاً لان يكون حزاماً وهو نوع من النسيج النادر في الحياكة واللون وهو نسيج سميك ويغلب عليه اللون الاحمر القاني المزوج مع بعض الألوان الأخرى ليعطي شكلاً شبيهاً بفرشة أو بساط أيراني فاخر ويلف على الخصر بعد طيه على شكل مستطيل ثم يطوق بحزام جلدي عريض. ونعتقد ان الشال هو الاساس ثم استعيض عنه بالقماش الاعتيادي وهو اليوم في طريقه الى الانقراض على ما يبدو لصعوبة حياكته وغلاء سعره وندرته.

ويشير ادموندز الى الـ(بَستَك) وهو صدار ثخين من الصوف المضغوط يلبس فوق الملابس ويسمى في المناطق الغربية والشمالية (كَبَن) أو جوخ ثم يذكر الـ(كولاو: كولاف) وهي طاقية رأس لينة.

بعد ذلك يذكر ما يلف حول الرأس من عمامة تسمى (ميزَر) ويوضح الأقمشة التي يمكن

* يسمى الزي الكُردي المصنوع من القماش العادي (شَروال وكورتَك).

ان تكون عمامة الرأس فهي (جامانة) أو (مشكن) أو (جفته) بحسب نوعها ان كانت على التوالي من القطن أو الحرير الفارسي بخطوط رمادية وسوداء أو الحرير البغدادي ذي الألوان الزاهية ويقابل (الميزه ر) في اماكن كثيرة في كُردستان الـ(شاشك) أو (الجَمَداني) وتكون العمامة من (غترة) أو (غترتين) حمراء وبيضاء مزررة أو سوداء وبيضاء مزررة.

ثم يذكر ادموندز بعض المعاطف التي وجد الكُرد يرتدونها فوق ملابسهم وهي في الحقيقة لاتمثل الزي الكُردي ومن تسمياتها يمكن ان نعرف انها تركية مثل (فَرَنجي) أو القبوت (الكوت) أو يستعاض عنها بالعباءة العربية ولاينسى ادموندز ان يذكر متممات الزي الكُردي اذ يقول ويحملون في العادة خنجراً قد تكون قبضته من العاج أو القرن يبلغ طوله ١٦ انجاً وهو معقوف النصل بعض الشيء وغمده من الخشب المكسو بالجلد ولكن قد يكون من الفضة المصبوبة أو من الذهب وهو نادر يحشر حشراً في الحزام وقد يلف حامله حول مقبضه مسبحة ليعبث بها وكثيراً ما نجد القرويين يدسون في هذا الحزام (البشتين أو الشيتك) حافة كيس تبغ ويبقى معلقاً الى جانبهم ويدسون مع الخنجر غليوناً طويلاً ذا وعاء صغير أو يحشرونه في ظهورهم داخل الجوغه.

ويعلق باسيل نيكتين على الخنجر الذي يتمنطق به الكُردي اذ يقول، اما الخنجر ذو القبضة الفضية فيكمل اللوحة الجميلة ويقصد باللوحة الجميلة زي الرجل الكُردي (٨٥).

لقد جاء ذكر هَيْ في وصفه للأحذية، وها نعود إليه وهو يحاول ان يعطي صورة للزي الكُردي وقد اقتصر وصفه على الزي الرجالي، فالزي الكُردي كما يصفه هَيْ يتألف من قميص ذي اردان طويلة وسروال قطني فضفاض وسترة سوداء مضربة تتقاطع على المعدة ومطوية في السروال ويلف حول خصره قطعة طويلة من خام مطبوع مثني الى امام والى وراء. انه في العادة ازرق واسود اللون وقد يبلغ طوله (٣-١٥) ياردة وعندما يلف يشغل المساحة الكائنة بين الخصر والإبطين. والكُردي في الشتاء يرتدي فضلاً عن ذلك السراويل المصنوعة من غزل حيك في البيت عادة وهذه غالباً ما تكون ذات خطوط زرق وتهبط حتى الرجل كما انه يلبس فوق سترته معطفاً من اللباد الخشن. اما غطاء الرأس فيتألف من طاقية يلف حولها لفاً هيناً منديلين أو ثلاثة من حرير أو قطن.

كما يذكر هَيْ ان الناس في سهل أربيل يرتدون في موسم الحصاد قبعة وسيعة من لباد وهي ذات حواف، ويوضح هَيْ كيف ان طريقة عصب الرأس توضح هوية الفرد اذا ما كان مسلماً أم نصرانياً ومن أي قبيلة ومن أي مكان ويذكر اننا يمكن ان نميز بين اهل الشمال والجنوب من كُردستان من السراويل التي تكون في الجنوب فضفاضة في الاعلى ضيقة في الاسفل وفي الشمال تكون فضفاضة من الأسفل (٦٠-٦١).

اما نوئيل فقد لاحظ العشائر في المناطق الجبلية بين مرعش ومَلاتيا (عشيرة اتمي) يرتدون في الصيف سروالاً وقميصاً ضيقاً ثم سترة شبيهة بعض الشيء بالسترة الأوربية اما في الشتاء يرتدون (الشل والشبك) الذي يقول عنه نوئيل انه الزي الكُردي الشائع وقد سبق ان تحدثنا عن صناعة نسيجية ووصف الوانه اما الرأس فتوضح طاقية حمراء عليه أو بيضاء يلف حولها لفافة من قماش (٣٩).

فيما نجده أي نوئيل يصف زي عشيرة بيزكي الكُردية وهي ايضاً من عشائر كُردستان في تركيا ويبدو غريباً وربما خضع لمؤثرات البيئة الإجتماعية والجغرافية والسياسية فهم يضعون طاقية للرأس (كُم: kum) والكم نوع من أنواع طاقيات الرأس تختلف بعض الشيء عن التسمية الشائعة (كولاف) ويحيطون هذه الطاقية بعمامة قطنية كما يرتدون عباءة شبيهة بالعباءة العربية ولكنها قصيرة وهي من نسيج الخيام وقد حاول نوئيل ان يوضح ذلك في كتابه فذكر مصطلح (رَشكين) ويقصد بذلك العباءة تخاط من قماش حيك من شعر الماعز. كما ويضع هؤلاء في اقدامهم احذية جلدية حمراء (سول) ويرتدون سراويل عريضة بنية أو سوداء اللون يسمى (شَل) (٤٢).

وهناك أمثلة كثيرة ومتعددة للأزياء الكُردية أحيانا تجد اختلافات خفيفة جداً بين زي وآخر.

ونجد امثلة كثيرة على التغير التكيفي للزي الذي يصل احياناً حد ارتداء زي آخر بديل عن الزي القومي. ونجد مثالاً في مجتمعنا الكُردي على ذلك كالعشائر الكُردية التي تعيش محاطة بالعشائر العربية في الساحل الأيمن من دجلة في العراق وامتداداً الى سوريا.

إنطباعات عن أزياء كردية مختارة:

١- زي عثمان بك بابان

يصف ريج أناقة عثمان بك اصغر اخوة باشا السليمانية اذ يذكر، انه كان يرتدي افخر الملابس التي تتفق والذوق الكُردي فرداؤه من القماش الفاخر المزوق بالأوراد الذهبية وغطاء رأسه من الشال الكشميري المزين بالأهداب الذهبية ايضاً وقد وضعه وضعاً مرتخياً غريباً اما رداؤه الخارجي فكان معطفاً او جبة من القماش القرمزي الفينيسي (نسبة الى مدينة البندقية) ذا أزرار ذهب (٥٥).

٢- منظر راعي هركي

يصف ويگرام قيافة راعٍ هركي ويذكر كان لذلك الشاب الراعي منظراً صعب عليهم إغفاله وهو يسير في الشعب امام قطيعه مرتدياً عباءة من الصوف المضغوط (كجه) ومعلقاً بندقية

طويلة وعصا الراعي وغليونه مما يكمل بزته فلم يتمالك ويگرام نفسه من الإشارة عليه بالوقوف دقيقة واحدة لاخذ صورة فوتوغرافية له وكان الراعي هذا حديث عهد بآلة التصوير، فظنها، وله كل العذر، سلاحاً فتاكاً ففر مسرعاً متوارياً خلف صخرة قريبة وتهيأ لاطلاق النار عن ويگرام وجماعته (١٤٩).

وهنا لابدّ من الاشارة الى اننا نعطي الحق مثلما أعطاه ويگرام الى هذا الراعي فمن اين له ان يعرف وهو في تلك الجبال المنعزلة قبل قرن من الزمان آلة التصوير؟

٣- قافلة من الجاف

يصف ريج قافلة من الجاف فيذكر، يسير الرجال والنساء على الأقدام ويا لهم من قوم ذوي بنية قوية لها محاسنها وجمالها. والنساء يرتدين القمصان والسراويل الزرق وعلى رؤوسهن قبعات صغيرات وشعورهن مجعدة ومدلاة حول وجوههن ويضيف كان على أكتافهن (الجاروكه) وهي كالعباءة من نسيج محقق باللونين الأزرق والأبيض وهي في شكلها تشبه مشالح الجبليين في سكوتلندة والجاروكه جزء من اللباس لا غنى لكل امرأة كردية عنه اما نسوة الطبقة الغنية فيلبسنها محاكة من الحرير الأصفر والأحمر. والحقيقة نود ان نعلق على رأي ريج هنا. إذ ليس النساء الكُرديات كلهن في كُردستان يستخدمن الجاروكة بل يقتصر استعمالها في المناطق التي زارها.

ويسترسل ريج في وصف مشاهدته فيقول اما الرجال الجاف فأنهم يلبسون رداء يتمنطقون عليه من الوسط وسراويل خفيفة وأحذية محاكة من الصوف وهي من الاحذية المريحة جداً للأقدام ويضعون فوق رؤوسهم قبعات مخروطية من اللباد وكلهم مسلحون بالسيوف (١٢٦ - ١٢٧).

٤- وصف لزي عشيرة هَماوَند

صبي في نحو العشرين من عمره، عليه ثياب من حرير يزهو بها ويزدان كثيراً شأنه في هذا كشأن ثيابه الأخرى وتدل عليه الاكمام المتدلية حتى قدميه ثم يصف سون إعجابه بنظافة هؤلاء القوم (٢٢١-٢).

٥- وصف لأزياء جمع من الكُرد

يذكر ريج في وصفه للأشخاص الميحطين لمحمود باشا بابان عندما زار ريج في محل إقامته انه كاد يخفى عن الأنظار بجمهور من الأكراد الطويلي القامة وقد ارتدوا ملابس الوانها الوان قوس قزح كلها، وردي واصفر وقرمزي وكانت هذه الألوان هي الغالبة في أهداب (شراشيب) أغطية رؤوسهم (٥٠).

ويذكر ريج أيضا في وصفه لجمع من الرجال جاءوا ليرافقوه أثناء دخوله السليمانية فيقول كانت ملابس القوم كلها زاهية (٥٤).

ويصف ماليبارد إنطباعه عن زي الفارس الكُردي اذ يذكر عدم مقاومته لرغبته في التقاط صورة لفارس كردي وهو يرتدي زيه الملون وقد امتطى فرسه.

الزي النسوي

استرعى الزي النسوي انتباه ريج فكتب عنه مفصلاً في مذكراته ودون إنطباعاته، وهو يصف السراويل النسوية بالسراويل التركية العريضة والحقيقة لاندري لماذا يسميها بالسراويل التركية؟ فوجود الكُرد في كُردستانهم اقدم بكثير من هجرة الأتراك ولماذا لاتكون السراويل التركية كردية اصلاً؟! ويذكر ان المرأة الكُردية ترتدي ثوباً فضفاضاً يحزم بحزام ذي عروتين كبيرتين من الفضة أو الذهب ويلبس فوق ذلك رداءً يزرر عند الرقبة ويترك مفتوحاً من الرقبة حتى الأذيال ويكشف عن الثوب والمحزم وهو عادة من الحرير المنقط أو المشجر أو من النسيج الملون أو المقصب. ويأتي فوق ذلك الـ(بنش) وهي صدرية ذات اكمام ضيقة ويستعضن عنها في الشتاء باللبادة وهي تشبه الصدرية ولكنها مبطنة بالقطن وكذلك يلبسن في الشتاء الجاروكة التي تصنع من أنواع الحرير المربع الألوان وهي نوع من أردية التدفئة من غير اكمام تشد من فوق الصدر وتتدلى من على الظهر.

اما لباس الرأس فيقول عنه انه من الصعب وصفه عندهن وصفاً دقيقاً وهو يتكون من المناديل الحريرية أو بالأحرى الشالات الملونة بالوان قوس قزح كلها ينظمنها تنظيماً فنياً في الجبهة ويثبتنها بالدبابيس تثبيتاً يجعل منها تاجاً أو قلنسوة وأطرافها السائبة تترك مدلاة من وراء الظهر حتى كعوب الاقدام والثريات منهن يزينّ جباه وجوههن بسفائف ذهبية عريضة يتدلى من كل منها صف أوراق ذهبية صغيرة ومن كل جانب من جانبي القلنسوة يتدلى ايضاً خيط من المرجان وهن يلبسن تحت هذه العمامة فوطة كبيرة من الموسلين تلف من الامام وتعقد فوق الصدر ويذكر ان هذه الفوطة لاتلبسها الا المتزوجات منهن.

يبدو مما تقدم من وصف ريج انه اخذ أنموذجا موسراً من زي المرأة الكُردية أو هو الزي الذي يمكن ان يشاهد في مناسبة ما. اما الزي القروي الذي شاهده ريج فهو يتكون من ثوب وسروال من نسيج ازرق خشن ويحزمن الثوب من الوسط بسفائف والجاروكة تكون من قماش ازرق غامق ذي خطوط بيضاء في حواشيها السفلى وهن يعقدنها من طرفها على صدورهن ولباس رؤوسهن طاقية صغيرة.

ويتحدث ريج عن لباس رؤوس السيدات الثقيل جداً ويذكر ان النسوة يتحملن آلاماً شديدة حتى يتعودن على لبسه وغالباً ما يتساقط الشعر الكثير من قمم رؤوسهن ويقول ان من الأمور التي يصعب تصديقها إنهن ينمن فعلاً وعماماتهن على رؤوسهن وهن يستعملن وسادات صغيرة لإسناد الرأس عليها (٢٠٤- ٢٠٥).

ولابد من الاشارة هنا الى ان الزي الذي ذكره ريج هو زي النسوة في السليمانية وهو يختلف بعض الشيء عن المدن الكُردية الأخرى ويزداد الاختلاف كلما ابتعدنا عن مدينة السليمانية باتجاه الشمال والغرب فيتغير تصميم الثياب بعض الشيء ولكن التغيير الكبير الذي يمكن ان نلحظه هو عدم استخدام النساء للجاروكة في منطقة بادينان ومناطق كُردستان الشمالية نهائياً كما وان النسوة لايستخدمن من العمائم الثقيلة التي أشير إليها بل تكتفي المرأة الكُردية بما يسمى بالدرسوك أي الكوفية وهي اما ان تكون كوفية بيضاء وهذه غالباً نجدها في المدن اما في القرى فأن المرأة تضع على رأسها الكوفية البيضاء أو الكوفية المرقطة التي يستعملها الرجال (الغترة أو الياشماغ). وفي كُردستان تركيا نجد من النسوة من يضعن الكوفية على الرأس ثم يعصبن الرأس بعصابة.

ونجد روس يصف الزي النسوي في مدينة راوندوز فيقول يلبس النساء ثوباً ازرق مع سراويل فضفاضة مشدودة من اسفل حول رسغ الرجلين وعباءة مربعة تشد من زاويتين اذ تصبح مدلاة من فوق الظهر اما في الرأس فيلبسن قطعة مدورة من الفضة تتدلى منها دلايات كبيرة تعلق في كل منها قطع من العملة حول الرأس والرقبة مصنوعة من الفضة. هذا ما جاء في رحلة فريزر (١٧).

ويصف سون لباس النسوة بأنه بسيط ففي الشمال هناك القميص الملون الطويل والسراويل المكتملة تدعمها في الفصل البارد قمصان أكثر ولعل ما يدعمها لباد ايضاً وهذا هو ما يؤلف اللباس جميعاً كما تلبس عمامة كبيرة ايضاً. ومهما يكن من امر اللباس في كُردستان الوسطى والجنوبية يصبح أكثر تعقيداً ذلك ان نسوة مكري وسنه* يستمتعن بشهرة لبس اكبر العمامات من بين عمامات أية قبائل أخرى. إنهن يصطنعن أكداسا مكدسة من مناديل الحرير الملونة منحنية على الرأس.

وتنتظم في الأقراط والأساور والاسماط نقود من ذهب، كما تتحلق حول رؤوسهن وهذه كلها ملامح شائعة في لباسهن وترتدي نسوة المكري السرداري وان لم يكن هذا فال(جاروخيه) وهي من قماش ثقيل يلقى على احد المنكبين.

* مكري وسنه: مدينتان في كردستان إيران.

والنقاب (البوشي) غير معروف في كُردستان إطلاقا ولاتخفي النسوة وجوههن ابداً. ثم يذكر بالرغم من ان اللباس الذي ترتديه نسوة السليمانية كردي بطبعه لكن النمط العربي قد اثر فيه.

اما الملابس التحتانية فهي تتألف من قميص وسراويل واسعة والأقسام العليا منها مصنوعة من قماش ابيض اما الاقسام السفلية من مادة قماش مخطط.

وكذلك ترتدي النسوة الـ(كوا) وهو معطف طويل يصل الى القدمين وليس فيه أزرار ولايلتقي من الامام وأكمامه غير متماسكة.

ويتألف لباس الرأس من غطاء للرأس (عرقجين) صغير مزركش ترمى عليه الـ(جمانا) وهي منديل ملون يتدلى من الخلف ويلف حول العنق غالباً (١٩٥ - ٦).

اما باسيل نيكتين فيصف الازياء الكُردية بأنها في منأى عن أي تأثر بالأزياء الغريبة ففي الشمال -حسب وصفه- يكون ثوب المرأة بسيطاً ويتألف من قميص طويل ملون وسروال احمر وهي تضع على رأسها عمامة كبيرة ويذكر نيكتين وصف ديكسون لزي المرأة الكُردية اذ يذكر ان ثوب المرأة الكُردية يشتمل عادة على سروال بشكل كيس وفوقه قميص طويل ملون فضلاً عن الصدرية الواسعة ويلف نساء الأكراد شعورهن على شكل جدائل يغطينها بقبعة مستديرة محلاة بحلى زجاجية وتحيط بها محرمة اما في المناسبات فيضاف الى هذا الزي عقد من الفضة فوق الصدر واساور في المعصم وبعضهن يحطن رؤوسهن بسلاسل من الذهب أو الفضة اما في جنوب كُردستان ووسطها فتصبح ملابس المرأة أكثر تعقيداً ونساء الكُرد لايعرفن وضع الحجاب قط على وجوههن (٨٦ - ٨٧).

ونجد من المناسب تماماً ان نعرج أخيرا على إنطباعات هانسن كونها امرأة وهي تكتب عن الازياء النسوية الكُردية في مرحلة متأخرة قياساً بالمستشرقين والرحالة الذين زاروا كُردستان فقد كانت زيارة هانسن كما أوضحنا في أواسط الخمسينيات أي في مرحلة متقدمة حضارياً على المراحل السابقة، وكانت المرأة الكُردية قد بدأت تصافح حياة التمدن أكثر من ذي قبل.

لقد لاحظت هانسن اختلاط الازياء النسوية في السليمانية بين الأوربي الحديث والكُردي (٥٦). والزي الكُردي بدوره كما شاهدته كان على نوعين السليماني والقروي، وهي عموماً ترى في الملابس الكُردية النسوية شبيهاً بملابس النساء الأوربيات في القرون الوسطى في الوانها وبعض طرزها (٦٢) وتصف قبعات أو طاقيات النسوة المتزوجات التي تتدلى منها بعض أشكال الزينة، وقد جلب انتباهها كثرة ما يتدلى من طاقية زوجة (الشيخ) من مخشلات غالية الثمن (٣٢) وهي تتساءل من أين لهن كل هذا الذهب الذي يدخل في

زينتهن وتجميل ملابسهن (٥٨) ويبدو ان هانسن كانت أكثر ميلاً الى ملابس القرويات الكُرديات منها الى ملابس مدينة السليمانية وقد بدا ذلك في مناقشتها مع المترجمة الكُردية التي رافقتها الى السوق عندما أرادت هانسن ان تشتري لنفسها ملابس كردية فكانت تسعى الى الأقمشة التي تصلح للملابس الكُردية القروية (٥٣).

ومما يدل على ما ذهبنا إليه انها تأسفت عندما رأت امرأتين وقد غيرتا من لباسهما القروي المعتاد الى الزي النسوي السليماني وربما كان سبب ذلك شفافية القماش الذي يكشف عن السروال اذ تذكر، لسوء الحظ انها لم تجد المرأتين يوم العرس تلبسان ما دأبت عيناها مشاهدته، لقد لبستا فستاناً شفافاً يمكن من خلاله رؤية سروايلهما، لقد لبست هاتان المرأتان القرويتان ما تلبس النسوة في السليمانية وتعدنه آخر تقليعة في الملابس (٣٠-١). ومن إنطباعاتها ايضاً عن الزي النسوي انه حار لم تطقه على الرغم من انها أحبته واشترته لنفسها (٦٤).

وتصف تجربتها الأولى في ارتداء الملابس الكُردية، فعندما طلبت من البنت القروية ان تعلمها كيف ترتدي ملابسها الكُردية فأن الفتاة الصغيرة نزعت ملابسها وبدأت تلبس ملابس هانسن قطعة قطعة. وتقول هانسن ان ما جلب انتباهها ان هذه الفتاة استطاعت ان تنزع ملابسها وترتدي دون ان ترى هانسن جزءاً من جسمها أي بكل حيطة وحذر (٦٤).

وقد أثار دهشة هانس كثرة الحلي والمخشلات التي تستخدمها النسوة كما استرعت انتباهها الخزامة المثبتة على أنوف بعض النسوة كجزء من اشكال الزينة النسوية فضلاً عن ما يتدلى من طاقيات بعض النسوة من العوائل الثرية من مخشلات باهضة الثمن وتذكر ان هذه الطاقية التي تضعها النسوة المتزوجات على رؤوسهن تجعل الرأس يبدو اكبر من حجمه وتعلق انه لابدّ وان يكون من الداخل ساخناً (٣٣).

يعبر شميدت عن إعجابه بزي المرأة الكُردية اذ يذكر انه لم يسعه وهو يمر بالقرى الصغيرة أثناء الأيام التالية الإعجاب بالنساء الكُرديات بمشيتهن المنبسطة وأقدامهن الثابتة الفخورة وبأزيائهن الجميلة جداً المتعددة الألوان ومعظمها طويلة الاكمام جداً حتى يمكن ان يعمل من نهايته عقدة تدفع الى الخلف وراء الظهر وهكذا ينجزن أعمالهن، والوان ثيابهن تعرف من امام العين منسجمة بشكل ما ازرق واصفر واحمر، واخضر وارجواني في كل عالمهن القاسي.

ويتحيز شميدت الى تظاهرة الألوان الزاهية ويقارن بين ازياء القرويات وبين النسوة ممن تبرقعن بالسواد في المدن (٢٣٣ - ٤).

الحقيقة ان التبرقع ليس من طبيعة المجتمع الكُردي لكن الكُرد اكتسبوه من أقوام أخرى

وفي المدن فقط ويذكر شيل ان النساء في كُردستان لايتحجبن مثل النسوة من جيرانهم الفارسيات والتركيات، فالكُرديات القرويات لايستخدمن حجاب الوجه الا بعض زوجات كبار القوم واما نساء القبائل الرحل فلايعرفن الحجاب أبدا (٧٠).

وعلى أي حال فقد شهدت هانسن في السليمانية تعصباً لدى بعض العوائل في موضوع (العباءة والبوشية) اذ تذكر ان من العيب ان تخرج النساء دون عباءة وبوشية ووجدت اباً كردياً في السليمانية لايوافق على خروج ابنته في الثالثة عشر من عمرها دون حجاب كامل ويعد العكس معيباً وتعلق هانسن بأسلوب طريف على التبرقع فهي تعجب كيف تعرف المرأة المحجبة بالعباءة و(البيجة*) زميلتها الأخرى المحجبة مثلها عندما تلتقيها صدفة في السليمانية كما وإنها قد لاحظت ان المرأة بالعباءة والبيجة تكون أكثر قدرة على السيطرة في الحديث مع الرجال وإننا نعتقد ان السبب في هذا هو اختفاء هوية المرأة المتبرقعة لأنها تبدو غير معروفة من قبل الرجل الذي يسمع الى حديثها في السوق مثلاً فتتحدث دون تردد أو حرج اما اذا كانت معروفة فلانعتقد ان التحجب سيجعلها أكثر سيطرة ولم تقاوم هانسن ضحكتها وهي ترى المترجمة الكُردية التي كانت ترافقها الى احدى داوئر السليمانية وهي تشرب البيبسي كولا من تحت البرقة (البيجة) (٥٤).

وفيما يخص التحجب يذكر ريج بعد مشاهدته لدبكة كردية نسوية، ان النساء الكُرديات في بيوتهن اقل تحجباً من النساء التركيات بل والعربيات. ويسمح للرجال من الخدم بالدخول الى بيوتهن وهن لسن متحفظات كثيراً في التحجب حتى امام الغرباء. وعندما يخرجن الى المدينة يرتدين إزارا ازرق محققاً كالذي تلبسه نساء بغداد ونقاباً اسود من شعر الخيل ومن النادر ان يرخينه فوق وجوههن الا اذا كن من سيدات الطبقة العليا وصادفن أناسا لايرغبن في ان يعرفوهن (٢٠٢).

ومن الطريف ان يذكر كافن يونك وهو زائر متأخر، اذ زار كُردستان في ١٩٨١ انه اعجب حتى بالزي الرسمي للفتاة الكُردية فهي تمنح زيها روحاً فلم يخف كافن يونك إعجابه في وصفه لمجموعة من طالبات المدارس خارجات من مدرستهن فقد بدون وكأنهن يتبخترن بملابس تهبط الى الكعب ذات ألوان صارخة ومغرية. ويسترسل في وصفه فيذكر انها طراز من أنواع اللفافات التي تنفتح عليك من صندوق جديد من الحلويات المحفوظة، فالملابس تتمنطق وتضيق عند الخصر وكأنهن لايرتدين بدلة رسمية حكومية زرقاء بيضاء بل كن بملابس تهبط الى الكعب ذات ألوان صارخة ومغرية. وغالباً ما تطرح طرحة خفيفة من قماش فوق الرأس

* البوشية أو البيجه: نوع من القماش الأسود تسدله المرأة على وجهها كي لايراها الرجال ولكنها تستطيع أن ترى ما تشاء، وهي تركية الأصل.

وذلك شيء لايشبه الحجاب بل طرحة أكثر شفافية (٢٢٩).

على الرغم من تعليقاتنا التي ذكرناها على الإنطباعات التي عرضناها يمكن ان نخرج ببعض النتائج الخاصة بالزي الكُردي.

لقد نال الزي الكُردي إعجاب الرحالة والمستشرقين الذين زاروا كُردستان ولم نلحظ ما يدل على عدم الإعجاب عند أي من هؤلاء وقد شمل الإعجاب نظافة الملابس الكُردية وجمالية الوانها لاسيّما جمالية التصميم وقد ميز هؤلاء في وصفهم للأزياء الكُردية بين ازياء الموسرين والفقراء وبين ازياء الرجال والنسوة وقد فصلوا في ذلك وبلغت بعض التفاصيل غاية الدقة.

ان اختلاف المناطق التي زارها الرحالة تساعد القاريء لان يلم بأشكال مختلفة من الازياء الكُردية حسب المناطق فقد أتاحوا لنا التعرف على الازياء من اورفة في كُردستان تركيا الى سنه ومكري في كُردستان إيران مروراً بزاخو وأربيل والسليمانية في كُردستان العراق.

وهناك ناحية مهمة يمكن ملاحظتها في هذه الإنطباعات وهي ان الزي الكُردي قد تغير في بعض المناطق قياساً بالأوصاف التي أعطيت من قبل الرحالة اذ يمكن ان نلاحظ تغيراً في بعض جوانب الزي بين ما ذكره سون وما ذكروه الرحالة قبل (١٧٠) سنة للمنطقة نفسها وكذلك يمكن ان نلحظ فروقاً في ازياء بعض القبائل حتى اهل المدن ايضاً اذا قارنا بين الأوصاف والرسومات التي دونها ريج في مذكراته وبين ما هو قائم في الوقت الحاضر للمنطقة نفسها.

ويبدو ان الظروف السياسية والإقتصادية تلعب دوراً في التأثير في الزي، اذ لايمكن ان تكون عبارة سون، اعتباطية، وهو يصر على ان الزي الذي كان شائعاً بين الرجال في السليمانية والمصنوع من القماش الحلبي المخطط لايمكن ان يكون من الأزياء الكُردية على الرغم من ان السليمانية مدينة كردية واهلها كرد.

ولقد تأثر بعض أهالي القرى والمناطق المتاخمة للمناطق العربية في الزي العربي فلانستغرب ان نجد من الكُرد من إرتدى (الصاية) أو (الزبون) وعليها المشد من الوسط وفوقها السترة الاعتيادية ثم العمامة الكُردية على الرأس هذا ما كان موجوداً في السليمانية وكفري وحتى في راوندوز كما جاء في مذكرات الدكتور روس.

وقد لانستغرب اذا ما قلنا ان الى الخمسينات من هذا القرن كان يمكن مشاهدة عدد غير قليل من رجال عشيرة السليفاني المتاخمة للمناطق العربية وهم بكامل زيهم الكُردي (الشل والشبك) والغترة والعقال على الرأس. واليوم لايمكن ان نجد اثراً لمثل هذا التوليف غير الطبيعي في الزي. لا بل ان عشيرة الملى وهي عشيرة كبيرة جداً في قوامها ودخل رؤساء

وأجداد رؤساء هذه العشيرة في صدامات قومية (كردية) مع الدولة العثمانية، ويتكلمون الكُردية ولكونهم يعيشون في محافظة الجزيرة في سوريا فأن زيهم كان زياً عربياً، وكذلك نجد بعض العشائر الكُردية التي تعيش على الساحل الأيمن من دجلة في العراق والمجاورة تماماً للقبائل العربية تتكلم الكُردية وتعترف بقوميتها الكُردية لكنها ترتدي الزي العربي، والحقيقة نحن لانجعل من الزي ميزاناً أو محكاً قومياً، فنصف الأمة العربية ان لم يكن أكثر ترتدي اليوم الزي الأوربي وليس العربي ولكن العروبة تبقى هويتهم لا بل تسري في عروقهم، وكذلك أقوام كثيرة أخرى وأمثلة أكثر.

الحرب والسلاح

جاء وصف الكُرد عند أكثر من رحالة ومستشرق ومنهم فيزر (١٨٣٤) اذ يذكر، انهم اميل الى التهيج والقتال والحيطة (١٠) فإن هذا الميل يبدو أكثر وضوحاً في القبائل الرحل منها عند القبائل المستقرة وان كنا اليوم لانجد قبائل رحل ..

ان السلاح على ما يبدو كان جزءاً من متممات الزي الكُردي الرجولي أو الاناقة الرجولية الى جانب كونه من متممات الشخصية الكُردية يصف هي في العشرينيات هذا بوضوح اذ يقول، يتجول الكُردي شاكي السلاح وفي حزامه خنجر ومسدس وقد تجد اربعة انطقة ملأى بالعتاد تحيط بخصره ومنكبيه ويحمل بندقيته التي يحافظ عليها جيداً والقبائل الكُردية الكبرى مسلحة تسليحاً، ببندقيات من نوع ٣٠١ التركية عادة، اما المجتمعات التي هي اوهن شأناً فتملك اعداداً كبيرة من بندقية موزر ٤٥٠ القديمة (٨٢).

ويمكن ان نستنتج من إنطباعات توما بوا (١٩٢٧) ثلاثة عوامل تعمل معاً في انتشار ظاهرة استخدام السلاح أو القتال. اذ يذكر، ان حياة الكُرد الرحل معرضة للمخاطر مثل مخاطر الصيد والشجار بين الرعاة أو بين زراع الكروم أو اصحاب المخازن وهذه كلها اسباب لنشوب الضرب والجراح، والكُردي بشكل خاص طبعه حاد وخنجره دوماً في متناول يده، وكذلك يمكن ان يأتي الخطر من الحيوانات مثل الكلاب والذئاب ولدغات الافاعي والعقارب وضربة من قرون الكباش أو الابقار الوحشية... الخ (٩١) لذا يمكن كما قلنا استنتاج ثلاثة عوامل تساعد على اعطاء الكُردي هذه السمة، القتال أو الاحتراب اسباب تعزى الى الطبيعة وأخرى تعزى الى طبيعة الشخص الكُردي (الطبع الحاد) وأخرى تعزى الى تفاعله مع افراد المجتمع من رعاة وزراع كروم ولكن ربما فات توما بوا الاشارة الى ان الحياة القبلية وتركيبتها مبنية على اساس التوجس من القبائل الأخرى لاسيما بالنسبة للقبائل الرحل وتنافسهم على المراعي ومواطن الخير ثم الثارات...

اما شميدت الذي زار كُردستان في مطلع الستينات فيذكر ان الرجال الذين رافقوه في رحلته اذ بدوا وكأنهم لايعيشون لغاية أخرى -يقصد الهدف القومي الذي كان هؤلاء الرجال يحملونه- فهم لايعرفون معنى للهو أو التسلية أو أي شيء من وسائل الترويح عن النفس وانك تكاد لاتجد شيئاً مثل الحلوى في طعامهم (٢٤١) ويعلق شميدت اذ يقول، والقتال في الواقع يبدو بالنسبة اليهم حالة اعتيادية في حياة الرحل...

ويؤكد هاملتون -في اواخر العشرينيات من القرن العشرين- ان الكُرد صيادون بالفطرة، بلغوا الغاية في اصابة الهدف بالبندقية ورصاصتهم لاتخطيء طريدتهم البشرية. والحقيقة ان

من يدرس الحروب الكُردية سواء على صعيد المعارك الصغيرة بين القبائل أو على صعيد المعارك الكبيرة في دفاع الشعب الكُردي عن نفسه من الغزاة والطامعين بأرضه، نجد ان الحرب أو القتال لم يكن مسألة نزعة قتالية أو طبع حاد فحسب، فالكُردي ليس بالمقاتل الاهوج بل هو مقاتل حذر ومترقب ومستكشف وجامع للمعلومات وواضع للخطط، هذا ماتبين لنا من دراسة تاريخ الشعب الكُردي وحياته الإجتماعية...

ان تحليل الملامح القتالية التي حفظتها وتوارثتها الاجيال من خلال (الاغنية الملحمية) توضح المستوى الحربي للمقاتلين الكُرد وقد ذكر أكثر من رحالة بإعجاب دقة التصويب عند الكُردي ومنهم هاملتون.

ويبدي ريج إعجابه بالجانب الاستخباري في المعارك الكُردية اذ يقول ان الأكراد كشافون ماهرون واكفاء في الحصول على المعلومات الكثيرة عن معسكرات العدو فهم يتسللون الى قلبها بمهارة فائقة، بل الى خيمة امرها بذاته... ويعطينا ريج مثالاً طريفاً عن موضوع المعلومات الحربية، فعندما حارب البابانيون باشا بغداد، ارسل عبد الرحمن باشا* في وقعة من الوقائع كردياً الى معسكر باشا بغداد لكن الرجل لم يستطع الحصول على المعلومات التي كان يريدها فرأى من الافضل ان يقبض على احد جنود المعسكر ويأتي به امام عبد الرحمن باشا ليستجوبه كما يريد وطبيعي لقد اقتاد هذا الكُردي اسيره مسافة عدة أيام وصولاً من بغداد الى السليمانية (٢٢٦-٧).

وصف كثير من الرحالة والمستشرقين قبائل بعينها أثناء القتال، فقد ذكر سون (في العقد الاول من القرن العشرين) عشيرة الهماوند في احدى اعمالها القتالية اذ قامت بقطع المواصلات جميعاً على طريق السليمانية وقتل كل من حاول اجتيازه وفي موضوع اخر من كتابه يصف سون إنطباعاته عن الهماوند اذ يقول ان الهماوند هم احفاد رس باسل مقدام وقد طار اسمهم بين أبناء الشعب الكُردي لما عرفوا به من بسالة وكثرة حروبهم وغزواتهم وشجاعتهم، ويعجب سون من نظافة الهماوند فيذكر، على الرغم من انهم على سروج الخيل دوماً فلانجد على قميص احدهم قذارة (٢٢٢)، وقد لاحظ سون ان النسوة في قبيلة الهماوند يشتركن في القتال عندما يكون ذلك لازماً ضرورياً.

ويميز ويگرام بين رؤساء أو (اغوات) صغار وكبار في قيادة المعارك أو التمردات الكُردية فاذا اختلف على سبيل المثال كما يذكر ويگرام شيخ بارزان أو آغا من قبيلة السندي والكلي مع الحكومة فالقضية لاتعود قضية خروج على القانون أو مجرد عصيان، بل حرباً كاملة الابعاد ويصعب على الحكومة مهما حاولت كسر شوكته (٢٨٢).

* أمير إمارة بابان.